Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

ذكرى الحسن الثاني

أصالة وتجديد

دَورة أبريل سنة 2000

الذكرى العشرون لتأسيس الأكاديمية

الجزء الأول VOL. I

الرباط

19 - 21 محرّم 1421 / 24-26 أبريل 2000

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

فكْر الحسن الثانى ومكوّناته
فى قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني
من خلال قراءة لكتابَيْه «التحدّي» و«ذاكرة مَلك»

أحمد صدقي الدجَاني

فاتحة

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسنُ عملاً، أحمده سبحانه القائل في محكم تنزيله ﴿وكُلُّهُم آتيه يومَ القيامَة فرْداً إنّ الذين آمَنوا وعَملوا الصَّالحات سَيَجْعَل لَهُمُ الرَّحْمَن وُدّاً﴾ (سورة مريم). وما أعلى مرتبة الودّ، والصلاة والسَلام على أنبيائه ورُسُله وخاتمهم محمّد بن عبد الله الذى بَيّن لنا أن النية أساس في معيار العمل : «إنما الأعمال بالنيات» وأستفتح بالذي هو خير.

"فكر الحسن الثاني : أصالة وتجديد" هو موضوع دورة أكاديمية المملكةَ المغربية فى ربيع عام 2000 م، مطلع عام 1412 هـ، وهو أول موضوع تتناوله الأكاديمية بالنظر، فى أول انعقاد لها بعد انتقال مؤسسها وراعيها الحسن الثاني إلى دار البقاء. وكان من عادتها على مدى عقْدين من السنين منذ تأسيسها أن تتناول في كل دورة من دوراتها موضوعاً يعرضه هو على أنظارها، وتتداعى إلى الخاطر قائمة عناوين تلك الموضوعات الحيوية التي تضمن رؤى الحسن الثاني الاستشرافية، وسلطت أضواء على فكره، وجميل أن

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

نعيش في هذه الدورة بمناسبة الذكرى العشرين لتأسيس الأكاديمية وافتتاح مقرّها الجديد، مع هذا الفكر، فالفكر جزء من الذكر - تتناوله الأحاديث - الذي يبقى بعد الرحيل. وهذا الذكر قوامه العمل الصالح.

والحق أن فكر الحسن الثاني يتجلى في أقواله وأعماله طول رحلة عمره التي امتدت سبعة عقود، وقد تناولت كتابات كثيرة سيرة حياته عرضت لفكره، ومن بينها كتابان من تأليفه يحملان اسمه هما "التحدي" و "ذاكرة ملك"، وقراءة في هذين الكتابين هي موضوع هذا الحديث الذي يعنى بالنظر في فكر الحسن الثاني ومكوناته في قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني وتجلياته في "قضايا السلام في الشرق الأوسط"، ومحاولة الوصول إلى تسوية سلمية للصراع وحل للقضية. وقد تعددت تجليات فكره لتشمل مختلف مجالات الحياة في الدولة بأبعادها المحلية والجهوية والدولية. ولكل من هذه التجليات حديثه الغني في ذكرى الراحل الكريم العطرة.

حديث عن الفكر

بين يدي هذه القراءة نستذكر أن الفكر بمعناه الواسع هو "عمل العقل البشري الذي يمكن التعبير عنه بالألفاظ"، كما يقول كرين برنتون في كتابه "أفكار ورجال"، وهو "إعمال النظر فى الشيء" "وجَولان الخاطر في النفس" و"ترتيب أمور معلومة للوصول إلى معرفة مجهول"، عند علماء المسلمين القدماء. والأفكار عند إدوارد كونيش في كتابه دراسة المستقبل تضم فئة "المفاهيم" وفئة "النظريات"، والمفهوم عنده هو "الصورة الذهنية لشيء ما". أما النظرية فإنها تربط بين مفهومين أو أكثر لتبين العلاقة بينهم، وحين نقوم بمداورة مفاهيمنا ونظرياتنا ونقلبها بصورٍ شتى يتكون التفكير. ويسعد الإنسان حين يكتشف مفهوماً أو نظرية تتطابق تطابقاً جيداً مع الحقيقة. وهو حين يريد أن يحل مشكلة يسعى كي يعيد إلى وعيه تلك المفاهيم والنظريات

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

المتعلقة بهذه المشكلة. وقد ربط علماؤنا بين الفكر و"الخاطر" الذي يسبقه. و"الخاطر" هو ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر. والفائدة التي أوردها ابن قيّم الجَوْزية في كتابه "الفوائد" تجعل الخواطر والأفكار مبدأ كل علم نظري وعمل اعتباري، فإنها توجب التصورات التي تأتي بالإرادات التي تقتضي وقوع الفعل. والفكر يؤدي إلى المعرفة التي ميزها الغزّالي عن "التقليد"، وهو "إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة". وهكذا فإن تلاقي الأفكار يولد أفكاراً.

إن هذا الاستذكار لمعنى الفكر، الذي فصلناه في كتابنا "تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر"، يصل بنا إلى أن فكر المرء يتأثر بالظروف التي تحيط به منذ ولادته وأثناء حياته، وبما ينشأ عليه وبما يدرسه وبتكوينه الذاتي وخصائص شخصيته. كما يصل بنا إلى أن رحلة الإنسان مع الفكر مستمرة طالما هو يفكر، وأن فكره يتطور تلقائياً أحياناً تبعاً للظروف المحيطة ولتنامي خبراته مع توالي الأيام وإرادياً أحياناً أخرى بجهد يبذله للتطوير. وهذه حقائق يأخذها الباحثون في فكر عَلَم من الأعلام في اعتبارهم، وفى تتبع مراحل تطوره الفكري، وفي الاجتهاد في تقسيم حياته إلى مراحل تسهيلاً للبحث مع إدراك الاتصال بين هذه المراحل.

نتأمل بين يدي قراءتنا لكتابَي الحسن الثاني رحمه الله، في فكر المرء حين يتولى موقعاً قيادياً، فنلاحظ فضلاً عن الحقائق السابقة أن القائد في أي موقع قيادي يأخذ في الاعتبار أفكار ومشاعر من يقودهم بعامة ومنهم من يعاونوه في القيادة. وهو حين يتقن فن القيادة حريص على استلام أحلامهم وإراداتهم وإحسان التعبير عنها، في علاقة جدلية بينهم وبينه ، فإذا تولت شخصية قيادية موقع رئاسة دولة، فإن هذا الموقع يلقي على كاهلها مسؤوليات كبيرة تشغل فكر الرئيس القائد تكون لها أبعاد داخلية وطنية وإقليمية قومية حضارية ودولية خارجية. وحين يكون الرئيس القائد ملكاً

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

وارثاً لعرش فإن مسؤولية أخرى تلقى على كاهله هي حفاظه على الأمانة التي تسلّمها حتى يَرثها خلفه. وهكذا نجد أن نهوضه بمسؤولياته يتأثر بطبيعة النظام الملكي الوراثي وبتصوره للعقد القائم بينه وبين شعب المملكة، ويتجلى ذلك واضحاً في فكره. وقد عني الحسن الثاني بشرح هذا الأمر في كتابيه حين تحدث عن "مهنة الملكية".

والمراحل

لقد تولى الحسن الثاني عرش المملكة المغربية ثمانية وثلاثين عاماً ميلادياً ونصف العام بين 1961/7/9 و1999/7/23، من عمره المكتوب الذي امتد منذ مولده يوم 1929/7/9 سبعين عاماً ميلادياً. ويمكننا ونحن نتحدث عن فكره أن نميز في فترة حكمه، في ضوء ما سبق، بين ثلاث مراحل تمتد الأولى منذ توليه حتى عام 1972 قبل المسيرة الخضراء في 1975/11/6، وتمتد الثانية منذ عام 1972 حتى نهاية زلزال الخليج في 1991/2/26، وتمتد الثالثة الأخيرة حتى انتقاله للرفيق الأعلى.

وتسبق هذه المراحل الثلاث مرحلة تمهيدية استمرت حوالي اثنين وثلاثين عاماً بين مولده وتوليه عاش خلالها في وطنه المغرب في كنف والده محمد الخامس عليه رحمة الله.

والعصر

يا له من عصر حافل بالأحداث المحلية والإقليمية والدولية، العصر الذي عاشه الحسن الثاني. فقد فتح عينيه في مرحلة حياته التمهيدية ووطنُه المغرب يكابد شرور استعمار فرنسي شديد القسوة تحت اسم الحماية، وشعبه المغربي الأبي يجاهد بقوة لتحرير الوطن ونيل الاستقلال، ووالده السلطان ملتحم بشعبه في مواجهة الاستعمار وصولاً للاستقلال وفي سبيل ذلك يتحمل

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

الكثير من المعاناة. هذا على الصعيد المحلي، أما على الصعيد الإقليمي في الدائرة العربية ودائرة الحضارة الإسلامية في قارتَي أفريقيا وآسيا فثورة التحرير تعم الأقطار فيهما شأن المغرب، وفي كل قطر يتابع شعبه في خضم ثورته أخبار ثورات شعوبه الشقيقة ويتعاطف معها معنوياً ومادياً في حدود طاقته. وعلى الصعيد الدولي في دائرة الحضارة الغربية وفي ظل هيمنة الدول الاستعمارية الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. يحتدم الصراع حرباً عالمية ثانية أشد طحناً يقوم في أعقابها نظام دولي ثنائي القطبية يتنافس فيه معسكر رأسمالي وآخر شيوعي في دائرة الحضارة الغربية.

لقد تنبه الحسن الثاني وهو فتى إلى ما جدّ في النظام الدولي، وذلك حين حضر مع والده اللقاء مع روزفلت وتشرشل في أثناء عام 1943، وتوقف أمام العلاقة بين البعد المحلي لقضية بلاده والبعد الدولي. وتابع في هذه المرحلة التمهيدية الصراع الذي نشب بين المعسكرين في الغرب وانتقال التوازن بينهما من سياسة حافة الهاوية إلى سياسة التعايش السلمي، كما تابع ما حدث على الصعيد الإقليمي من تطورات بفعل تطور النظام الدولي، ومن هذه التطورات وقوع انقلابات عسكرية في دول استقلت حديثاً، وتصاعد حركات التحرير الساعية لاستقلال أقطارها.

حفلت الفترة التي تولى فيها الحسن الثاني في المغرب، في مراحلها الثلاث، بأحداث كثيرة على الصعد الدولية والإقليمية والمحلية. وفي مختلف الميادين العلمية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وقد تابعها جميعها . ونشير من بينها إلى تلك التي اتصلت بكل من المغرب وفرنسا، وبالدائرتين العربية والإسلامية وبالدائرة الإفريقية وبالعلاقة بين المعسكريْن وانتقال التوازن بينهما إلى الانفراج فأزمة الانفراج فانهيار الاتحاد السوفييتي وتفكك المعسكر الشرقي وبروز الولايات المتحدة الأمريكية قطباً واحداً.

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

نتيجة

نستطيع في ضوء ما سبق ونحن نختم هذا التمهيد بين يدي قراءة الكتابين أن ندرك المحددات التي تحدد تحركات القيادة السياسية بفعل الظروف المحيطة، والهامش الذي تَبْقى له فيه حرية التحرك، والأوليات التي تفرض نفسها عليه. ويمكننا من ثم أن ندخل هذه جميعاً في المعيار الذي يقاس به عهده والحكم على إنجازاته، والنظر إلى فكره.

الكتابان

صدور كتاب "التحدّي" عام 1975م الموافق 1396هـ بعد المسيرة الخضراء، وقد مضت عشرون سنة على استقلال المغرب. وكان الحسن الثاني قد أتم ستة وأربعين عاماً وأمضى أربعة عشر منها في سدّة الحكم. وصدر كتاب "ذاكرة مَلك" عام 1992م الموافق 1412هـ، بعد سبعة عشر عاماً على صدور سابقه، وفي أعقاب زلزال الخليج. وكان الحسن الثاني قد أتم ثلاثة وستين عاماً.

جاء كتاب التحدّي في 465 صفحة متضمناً مقدمة وكتاباً أولاً في ستة فصول وكتاباً ثانياً في ستة أخرى وكتاباً ثالثاً في أربعة فصول، وملاحظات ووثائق وملاحق. ويقع كتاب ذاكرة مَلك في 183 صفحة من قطع أكبر ضمّت تسعة عشر فصلاً.

الكتاب الأول اعتمد أسلوب التقرير في كتابة فصوله. بينما كان الحوار سؤالاً وجواباً، هو الأسلوب المعتمد في الكتاب الثاني . وقد أجرى الحوار الصحفي الفرنسي إيريكْ لورانْس الذي قال في مقدمة الكتاب إنه اقترح طرح جميع القضايا حتى العويصة منها في أسئلته، فأجابه الملك :«يمكنكم أن تطرحوا علي جميع الأسئلة التي تودّون طرحها»، وأوضح أن اختيار الملك وقع عليه لأنه يودّ محاوراً "جديداً ومحايداً". وسجّل "لورانسْ" في ختام مقدمته

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

أنه تمكن من طرح جميع الأسئلة التي كان يود طرحها أو شعر بواجبه أن يطرحها. ويتوقع أن يكون الصحفي المحاور متأثراً في صياغة أسئلته بثقافته وبمحيطه.

هناك تشابه في بعض فصول الكتابين، وهي الفصول التي عرضت لتاريخ المغرب منذ أن ابتلي بالاستعمار الفرنسي، وما حفل به هذا التاريخ من جهاد الشعب وسلطانه، وقصة الاستقلال، وبناء المملكة، وأحداث داخلية، ومهنة الملكية، والمسيرة الخضراء. وبينما ركز كتاب «التحدي» على المغرب شعباً وحكومة وعرشاً ومملكة، وانتهى بالشجرة ومكان المغرب في عالمنا، نجد كتاب «ذاكرة مَلك» يعرض إلى موضوعات "الخلافة" و"الثورة الإسلامية والشاه" و"الإسلام والمسيحية والبابا" و"النزاع العربي الإسرائيلي" و"الاتصالات من أجل السلام" في فصوله الخمسة الأخيرة التي تسبق فصل "نهايات الأسئلة". وهذه موضوعات عني بها الملك الراحل.

في المقارنة بين تناول كل من الكتابين لهذه الموضوعات تبرز الثوابت في فكر الحسن الثاني من جهة وما طرأ من تطور في مقاربة الأحداث خلال ستة عشر عاماً من جهة أخرى. ويتجلى صدق القول الذي أورده روبرت دونز في كتابه عن الكتب التي أثرت في الفكر الغربي "ما من كتاب يمكن أن ينفصل عن العصر الذي كتب فيه... والكتاب العظيم يضم دروساً لجميع العصور". ويلاحظ القارئ أن الحسن الثاني في كل من الكتابين يأخذ في الاعتبار أنه وإن كان يتحدث فيهما إلى عامة القراء، إلا أنه يولي عناية خاصة للقارئ الفرنسي، وذلك بحكم العلاقة التي قامت بين المغرب وفرنسا منذ التسلط الاستعماري الفرنسي على المغرب، ولأن نشر الكتابين كان بالفرنسية. وقد أشارت دار النشر الفرنسية «ألْبانْ ميشيلْ» التي نشرت كتاب التحدي في المقدمة إلى "أن صاحب الجلالة الحاصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة بوردو، الواسع الاطلاع على آدابنا الفرنسية قديمها

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

وحديثها، وعلى تاريخنا، ليوضح بصراحة كيف أمكن البقاء على الصداقة بين بلده وبلدنا... في خضم أعظم المصاعب وأحياناً بين مآس قاسية". كما أشار إيريكْ لورانسْ في تقديمه لكتاب «ذاكرة مَلك» إلى"العلاقات المضطربة الغامضة المشوبة بالفتور في الغالب بين فرنسا ومحميتها السابقة (المغرب)، وإلى شخصية الملك العلوي المثيرة للجدل. ففي باريس تتضارب الآراء حول شخصية العاهل المغربي وأعماله. فهو يثير في نفس الوقت الرضا البالغ والعداء الممنهج".

مكوّنات

في بحثنا عن مكونات فكر الحسن الثاني في قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني، وتجليات هذا الفكر في "قضايا السلام في الشرق الأوسط"، من خلال قراءة في كتابَيِ «التحدّي وذاكرة ملك»، نقف على خمسة أمور :

الأمر الأول هو رؤية شعب المغرب لفلسطين والقدس وللقضية والصراع. فالحسن الثاني تفتح في المغرب والشعب المغربي يتابع، وهو يجاهد الاستعمار الاستيطاني الفرنسي، جهاد شعب فلسطين للاستعمار البريطانيَ ولمخططه في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وتمكين اليهود الصهاينة من استعمارها استيطانياً. وقد ارتبط شعب المغرب العربي المسلم بفلسطين منذ قديم الزمان. وكان الحجيج المغاربة حريصين على زيارة بيت المقدس في طريق ذهابهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة أو عودتهم منهما. واستقر في القدس نفر منهم شاركوا في ازدهارها وأقاموا في حي من أحيائها مجاور للمسجد الأقصى عرف باسم حي المغاربة. وكانت أخبار أحداث فلسطين بحكم هذا الارتباط محل اهتمام أبناء المغرب في الثلاثينات والأربعينات، يحملها الحجيج وتنقلها وسائل الإعلام الحديثة من صحف وإذاعات. ولابد

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

أن الحسن الثاني، الذي كان ميلاده في عام ثورة البُراق سنة 1929، وعى مبكراً ما يعانيه وطنه المغرب من الاستعمار الفرنسي وبدأ يعي قضية فلسطين ويسمع ممن حوله عن أحداثها التي منها انعقاد المؤتمر الاسلامى في القدس عام 1931 بدعوة من مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وثورة الشيخ عز الدين القسّام عام 1933، وثورة فلسطين الكبرى بعد الإضراب الشهير عام 1936 التي استمرت حتى عام 1938 وانتشرت أخبارها في الآفاق.

ولابد أن الحسن الثاني وقد أصبح غلاماً يافعاً منذ مطلع الأربعينات غدا أكثر معرفة بقضية فلسطين وما يستهدف الأرض التي باركها الله من استعمار استيطاني على أيدي بريطانيا واليهود الصهاينة، من خلال ما كان يتردد في الشارع العربي من أحاديث. وهو يشير في كتابيْه إلى حرص والده على أن يعيش ابنه "كسائر المواطنين" (انظر ذاكرة ملك ص 3).

لابد أيضاً أن الحسن الثاني سمع من أبيه الشاب السلطان محمد الخامس في تلك الفترة عن تطورات قضية فلسطين إبان الحرب العالمية الثانية. وقد حفظت ذاكرته ما رواه له من حديثه مع الجنرال دوگول سنة 1945 حين لقيه في فرنسا بعد تحريرها وقدّم له مذكرة من أربعين صفحة تضمنت ثلاثة أشياء ثالثها هو إطلاق سراح الحاج أمين الحسيني الذي كان لاجئاً في ألمانيا وتم اعتقاله بعد هزيمتها. وكان الفتى اليافع الحسن الثاني هو الذي أتم نسخ تلك المذكرة. وهكذا تحدث في «ذاكرة ملك» بعد أكثر من نصف قرن عن ذلك اللقاء وقول محمد الخامس لدوگول وهو يشرح طلبه هذا "أنني لا أعرفه شخصياً ولكنه ابن عمي، ومكانته الدينية مرموقة وليس في مصلحة فرنسا في شيء أن تعاقبه. لذلك أرجوكم العفو عنه". فقال دوگول "لكم ما طلبتم يا جلالة الملك". (ذاكرة ملك صفحة 2). ولاقت حرص محمد الخامس على إبراز علاقة القرابة بالحاج أمين الحسيني، وأن طلبه الإفراج عنه اقترن بطلبه الثاني عودة الزعيمين الوطنيين علال الفاسي ومحمد بن

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

حسن الوزاني من منفاهما، وبطلبه الأول "ألا يبقى بيروتونْ مقيماً عاماً بالمغرب" وهو الذي قاد قمعاً دموياً عام 1944 في أعقاب عريضة المطالبة بالاستقلال.

استمرت رؤية شعب المغرب لفلسطين والقدس عاملاً فاعلاً في تحديد مواقف الحسن الثاني إزاء القضية والصراع بعد أن تولى عرش المغرب عام 1961 وحتى انتقاله للرفيق الأعلى عام 1999. وقد دعاه هذا العامل إلى الاهتمام بقضية فلسطين والقدس، وكان له أثر واضح في تجليات فكره بشأن ما يمكن عمله.

الأمر الثاني هو فظاعة الاستعمار الاستيطاني العنصري وبشاعة ممارساته وما يمثله من خطر على الشعب المستهدف به وكيفية التصدي له، وذلك من خلال ما عاناه المغرب من الاستعمار الفرنسي. وقد أدرك الحسن الثاني من خلال متابعته أحداث فلسطين قبيل حرب عام 1948 وفي أعقابها أن هذا القطر العربي مستهدف باستعمار استيطاني تدعمه بريطانيا التي تبنت الحركة الصهيونية في أوساط يهود أقطار أوروبا وساعدتها في تهجير كثيرين منهم من أوطانهم إلى فلسطين. وكان الحسن الثاني قد خبر وهو غلام يافع فظاعة الاستعمار الفرنسي وبشاعة ممارساته في المغرب. وقد شرح خبرته هذه بتفصيل في كتاب "التحدي". والحق أن قارئ الفصول الخمسة الأولى من هذا الكتاب يجد نفسه أمام شهادة متميزة على هذا الأمر ليس هنا مجال عرضها وتستحق إفراد حديث لها. ونكتفي هنا بذكر إيجازه لها في كتاب «ذاكرة ملك» في معرض إجابته عن سؤال الصحفي له "كمّا هو الشي المستهجن الذي لم يكن يطاق بالنسبة إليكم، وأنتم في ريعان الشباب فيما يتعلق بالوجود الفرنسي ببلادكم؟".

وقد أجاب : «قبل كل شيء كانت ظاهرة العنصرية. فبالنسبة لبعض الفرنسيين كان كل مغربي يسمى محمّداً . ولم يكن من حق أي مغربي أن

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

يخاطب بصيغة الجمع. كان والدي يحرص على أن أعيش كسائر المواطنين. لقد قضيت جميع عطلي في شواطئ الرباط والدار البيضاء حيث كنتُ ألعب كرة القدم وأغلب الظن عندي أن ذلك هو ما أتاح لي أن أعاشر أناساً أصبحوا بعد ذلك نزلاء سجون الحماية، ثم أساتذة جامعيين. وأذكر عن تلك الحقبة أن فرنسيين خاطبوني بصيغة المفرد في مناسبات عديدة. كما وصفوني بغبي ورموني بلفظ "بيكو". ولقد آلمني ذلك لا بوصفي أميراً، ولكنه خدشني في وطنيتي. لقد كان ذلك جرحاً عميقاً لا يحتمل». وقد تضمنت شهادته التفصيلية شرحاً للنهب الاستعماري الاقتصادي، ولسلوك المستعمر المستوطن الذي عرفه المغرب باسم "المعمِّر"، ولتحكم المقيمين العامين الفرنسيين في البلاد وسعيهم مع قوى الهيمنة الفرنسية لأن يكرروا في المغرب ما فعلوه بالجزائر التي جرى ضمها إلى فرنسا، ولما أصاب السلطان وأسرته عند نفيهم.

لقد عبّر الحسن الثاني عن إدراكه لما استهدف فلسطين من استعمار استيطاني صهيوني بجمل قليلة معبرة في رده على سؤال الصحفي عن نظرته لدولة إسرائيل "وما إذا كان يعتبرها جسماً غريباً شأن عدد من القادة العرب؟"، وسؤال آخر يتعلق بالقادة الإسرائيليين المنتمين إلى أصل اسكنازي القادمين من أوروبا الشرقية. وقد حاول الحسن الثاني أن يكون غاية في الدبلوماسية في رده على السؤال الأول. ولكنه لم يستطع إلا أن يقول "حينما كنت أرى إسرائيل مجسدة في السيدة جولدا مائير وهي امرأة ربما كانت جديرة بالاحترام، وكانت أستاذة بالولايات المتحدة الأمريكية . ولم تكن تنطق ولو بكلمة واحدة باللغة العربية، كنت شخصياً اغتاظ، لقد زاد هذا الأمر من صعوبة البحث عن تسوية للمشكل. "وقال في رده على السؤال الثانى" خذوا السيد شامير أو السيد بيگينْ كمثال. فهما كانا شاهدين على

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

المذابح التي تعرض لها اليهود (في أوروبا) ولكن أولئك الذين كانوا يقتلون اليهود لم يكونوا عرباً. بيد أنهما بمجرد وصولهما إلى إسرائيل شرعا على الفور في استحضار هذه الذكريات التي ظلت لصيقة بذهنيهما إلى حد أنها دفعتهما إلى تطبيقها على العرب اعتقاداً منهما أن الوضعين سيان. كل هذا واليهود العرب عاشوا بصفة عامة في وئام مع عرب فلسطين وبكل تأكيد دون مآس شبيهة بتلك التي كان الغرب مسرحاً لها".

كانت الخبرة التي استخلصها الحسن الثاني من جهاد المغرب ضد الاستعمار الاستيطاني الفرنسي، وحَرصَ والده أن يرسخها لديه، هي ضرورة التصدي لهذا الاستعمار ومحاصرته قبل أن يستفحل سرطانياً، وقرن مقاومة الشعب المستمرة له بعمل سياسي يبحث عن حلول وصولاً إلى الاستقلال الذي هو الكفيل بتحقيق الإصلاح. وقد حاول الحسن الثاني توظيف هذه الخبرة في التعامل مع قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني، وهكذا كان هذا الأمر الثاني عاملاً فاعلاً آخر في تحديد مواقف الحسن الثاني على هذا الصعيد، من حيث ضرورة العمل لمحاصرة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني كي لا يستفحل ودعم كفاح شعب فلسطين مع البحث عن حل سياسي.

الأمر الثالث في مكونات فكر الحسن الثاني في قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني، هو تعرفه المبكر على قوى الهيمنة الدولية وازدياد معرفته بها مع تقدمه في العمر وإدراك أثرها في القضايا السياسية وكيفية التعامل معها في قضايا التحرر بخاصة.

لقد تعرف الحسن الثاني في مطلع عام 1943، وهو دون الرابعة عشرة من عمره على هذا البعد الدولي لقضايا التحرر حين اصطحبه والده إلى "لقاء آنفا" للعشاء مع الرئيس الأمريكي فرانْكلين روزْفلْت والوزير الأول البريطاني ونستون تشرشل في الدار البيضاء. ويتضمن كتاب التحدي حديثاً وافياً عن

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

ذلك اللقاء يوضح كيف أدرك محمد الخامس حين نزلت القوات الأمريكية - البريطانية في 1942/11/8 في آسفي والدار البيضاء والقنيطرة ووهران والجزائر أن الحرب العالمية الثانية دخلت طوراً جديداً. وقد سمع الحسن الثاني الرئيس روزفلت يؤكد على العشاء أن النظام الاستعماري عفا عليه الزمن وأصبح محكوماً عليه بالزوال، ولكن تشرشل تحفظ على هذا القول وطلب التدقيق في وجهة النظر هذه، فكان أن رد روزفلت بأنه يتطلع إلى اليوم الذي سيصل فيه المغرب بيسر إلى الاستقلال وفقاً لمبادئ الحلف الأطلسي وأن الولايات المتحدة لن تكتفي يومئذ بعدم وضع أية عراقيل في وجه استقلال المغرب بل إنها ستخص المغرب المستقل كذلك بمعونات اقتصادية مناسبة.

ويتابع الحسن الثاني قائلاً :"إن الذين زعموا أن كفاحنا قد دعمه الأجانب يعرف الجميع أي خطأ ارتكبوه، فالمبادئ الديمقراطية العظمى التي تغنوا بها في آنفا تنوسيت، شأنها شأن الوعود المشرقة التي قطعت. ولم يمر وقت طويل حتى أدركنا أن روزفلت وتشرشل لم يكن همهما في يناير 1943 "تحرير المغرب من النير الاستعماري"، وإنما كان اهتمامهما منصباً على تحييد المغرب ليُهزم روميل، ولتتمكن قوات الحلفاء من النزول في إيطاليا. وهكذا تبقى الأولوية للحسابات المنطقية".

لقد عاد الحسن الثاني إلى حديث لقاء آنفاً في كتاب "ذكريات ملك" ونلاحظ فيما أورده كيف بدا له تشرشل "منغلقاً وهو يعض على سيجاره. وكان قليل المشاركة في المذاكرة" وعلم فيما بعد سبب انزعاجه، وهو أن روزفلت في معرض حديثه مع محمد الخامس أكّد له أن المغرب سيكون مستقلاً بعد مضي عشر سنوات. "ولم يرتح تشرشل لهذا الوعد لأنه اعتبره بمثابة ناقوس خطر بالنسبة للقوة الاستعمارية البريطانية". وهكذا تنبه الحسن الثاني الفتى مبكراً إلى أثر قوى الهيمنة الدولية على الأحداث، وإلى موقف

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

الاستعمار القديم السلبي الذي يمثله تشرشل من استقلال الدول الرازحة تحت نير الاستعمار، وإلى ما حدث من تباين في رؤية كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لمستقبل هذه الدول.

كان الحسن الثاني في السابعة عشرة من عمره حين صدر القرار رقم 181 في الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية. وقد لفته عند الإعلان الصهيوني لإقامة الدولة اليهودية في 1945/5 إثر إنهاء بريطانيا انتدابها لفلسطين، أن الاتحاد السوفييتي فضلاً عن الولايات المتحدة اعترف "بدولة إسرائيل" وساند "دخولها إلى حظيرة الأمم المتحدة رغم المعارضة القوية للعديد من البلدان" (ذاكرة ملك صفحة 151). وحين شنت بريطانيا وفرنسا ومعهما "إسرائيل" عدوانهم الثلاثي على مصر في 1956/10/29، وتابع حرب السويس وحصادها رسخ لديه أن قوى الهيمنة الدولية في عالمنا متفقة على اختلافها في أمور كثيرة على وجود الكيان الإسرائيلي، وهو يقول في ذاكرة ملك "استخلصت أن الكل كان متفقاً على أن تظل إسرائيل موجودة، وألا تُدّمر أبداً". وهكذا اتجه فكر الأمير الشاب إلى البحث عن كيفية التعامل مع قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني في ضوء ما رسخ لديه، وبدأت تتبلور لديه فكرة أن تسوية هذا الصراع تكون بدمج هذا الكيان في المحيط العربي، منطلقاً من استحضار تجربة تعايش اليهود مع العرب عبر قرون، فقد "ظل التعايش بين اليهود والعرب في المغرب منذ قرون أحد مقومات هذا البلد" على حد قوله.

الأمر الرابع في مكونات الحسن الثاني بشأن تسوية الصراع العربي الصهيوني هو المثل المغربي في التعايش بين العربي المسلم واليهودي في المجتمع، وقيم الحضارة الإسلامية التي حكمت هذا التعايش على الصعيدين الرسمي والشعبي.

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

كان الحسن الثاني فتى في الحادية عشرة من عمره حين رفض والده محمد الخامس رفضاً باتاً تطبيق قوانين الاستثناء التي أبرمها رافائيل البيرت حامل الأختام الخاصة باليهود حول كيفية معاملتهم في ظل حكومة فيشي التي تشكلت إثر هزيمة فرنسا في يونيو 1940. وقد كتب في كتابه "التحدي" وهو يشير إلى هذه الواقعة "إنهم على ضفة نهر الاليبه يجهلون أن اليهود في المغرب هم تحت الحماية الشخصية للملك منذ أمد طويل، وهو ما يفسر أن "الملاح" وهو حي اليهود المغاربة، يوجد غالباً - على مقربة من القصر الملكي". ولابد أن الفتى الحسن الثاني تعرف آنذاك على جوهر هذا الموقف المغربي الرسمي الذي وقفه ملوك المغرب المسلمون. ولابد أنه كان يعيش شأن كل مغربي مسلم التعايش السمح مع اليهود المغاربة، ولمس لديهم عرفانهم لسلطانهم موقفه ذاك وولاءهم.

يذكر الحسن الثاني في "التحدي" كيف أن والده العظيم بعد أن استقل المغرب عام 1955 أخذ يرسم أمامه تدريجياً "الخطوط الرئيسية لبيان دستوري مستند إلى أسس واقعية كفيلة بتوحيد كل المواطنين والقضاء على التفرقة"، وأن الملك الراحل، كي يظهر مركز الأمة في المجموعة العالمية من غير لبس ولا غموض، كانت رغبته القاطعة أن يصدر الدستور بهذه الكلمات "المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، لغتها الرسمية هي اللغة العربية، وهي جزء من المغرب الكبير، وبصفتها دولة أفريقية، فإنها تجعل من بين أهدافها تحقيق "الوحدة الأفريقية". وحين صدر الدستور في 1962/5 بعد تولي الحسن الثاني العرش تضمن النص على الحريات، ومنها "حرية العبادة مضمونة، ودين الدولة هو الاسلام". وقد صرح الملك في 1962/12/12 في مؤتمر صحفي "من المؤكد أن لليهود حق ممارسة عبادتهم بكل حرية، وأن للنصارى مثل هذا الحق، لأن اليهودية والنصرانية من ديانات "أهل الكتاب"

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

التي أقرها الإسلام، وشريعتنا الإسلامية لم تقر هاتين الديانتين فحسب، بل أوصتنا كذلك بالإيمان بأنبيائهما..." (التحدي صفحة 128).

لقد كان هذا المثل المغربي في تعايش يهود المغرب مع العرب المسلمين المغاربة في ظل حكم الدولة العلوية، ماثلاً أمام الحسن الثاني وهو يفكر في حل سلمي للصراع العربي الصهيوني. وهو يقول في "ذاكرة ملك" رداً على سؤال عن لقائه برئيس المؤتمر اليهودي العالمي ناعوم غولدمان عام 1970 "لم يتبادر قط إلى ذهني فكرة رفض لقاء شخص ما لمجرد كونه يهودياً. ولا غرو في ذلك، لأن هذا الموقف نابع بكل تأكيد من حجم التقاليد المغربية المتجذرة ومن تاريخ المغرب حيث أن يهود المغرب وعربه عاشوا على الدوام في كنف وئام تام. فهم ينتمون جميعاً إلى نفس البعد. "كما نراه يعبر عن اقتناعه أنه "حينما يضطلع اليهود المنحدرون من العالم العربي بمسؤولية فعلية في مسار المفاوضات فإننا سنقترب بشكل جدي من إقرار السلام" متوقعاً منهم "أنهم سيتفاوضون بشكل أفضل" ونراه حين التقى بموشى ديان أول مرة في 1977/9 يتوقع منه أن يتحدث بالعربية طالما أنه "مزداد على ما أعتقد ببلدة نخيلان في فلسطين". وهذا ما دعاه إلى أن يقول له "في هذه الحالة يتعين عليكم التحدث باللغة العربية". وقد "رد علي بقوله" "أنني لم أتحدث بالعربية منذ مدة طويلة". ولكنني ألححت عليه أن يتحدث معي باللغة العربية. وهكذا تحادثنا بالعربية نصف وربما ثلاثة أرباع المدة الزمنية التي استغرقها لقاؤنا. وكانت لغته ركيكة بفعل النسيان". ويتابع الملك الحسن معلقاً "غير أن هذه الرابطة التي جمعت بيننا (يقصد رابطة اللغة) أسهمت في خلق جو من الثقة". ويضيف مشيراً إلى رابطة أخرى تتعلق بالتعايش الذي يتصور إمكانيته "وإضافة إلى ما سبق فقد كان ديان يقطن بنفس الحي الذي كان يقطنه أحد أقطاب منظمة التحرير الفلسطينية،

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

ألا وهو السيد خالد الحسن الذي أعرفه حق المعرفة. لقد قدم لي كل منهما - بطبيعة الحال كل على حدة - نفس الوصف لمدينته وحيِّه. ومن يدري ربما لعبا معاً هناك وهما طفلان".

واضح هنا أن الحسن الثاني كان منطلقاً في حديثه هذا من المثل المغربي في التعايش، الذي يقوم على رابط اللغة ورابط الجوار. وكان يفترض أن اليهود الشرقيين العرب السفارديم أو اليهود المولودين في فلسطين أيضاً يستشعرون هذه الروابط، وليس هذا شأن اليهود الغربيين الاشكناز. ولذا نراه يشير إلى أن اسحق رابين "كانت له نفس الرؤى التي كانت لديان" بينما الأمر مختلف مع اسحق شامير. ويمضي الحسن الثاني في حديثه مصارحاً "ولهذا السبب كنت أرفض دائماً استقبال السيد شامير" مع أنه رغب هو في ذلك مرات عديدة. ويشرح سبب الرفض "إنني كنت أعلم أنه سيحاول الاستفادة قدر المستطاع من هذا اللقاء في مجال السياسة الداخلية، خاصة لدى اليهود المغاربة المقيمين في إسرائيل، ولكنه لم يقدم أي شيء لفائدة السلام". ومرة أخرى نجد الحسن الثاني مدركاً طبيعة المستعمر المستوطن الصهيوني حين يصارح محاوره بعدم جدوى التفاوض مع شامير ويفسر لماذا ؟ فيقول "إنه ينتمي إلى جيل الرواد والمؤسسين مثل بيغين أو غولدا مائير. لقد كانوا جميعاً من نفس الجيل. فلا ينبغي والحالة هاته أن تنتظر من شامير أن يكون أول واحد من هذا الجيل يقدم تنازلاً. فحتى داخل الليكود نفسه هناك شباب ربما كانوا على استعداد للتحاور. ولكن الوزير الأول (يقصد شامير) كان يسكنه في العمق هاجس الجزائر الفرنسية "إنني أقبل أن يصرح شخص آخر بأن الجزائر ستكون مستقلة. أما أنا فلا أريد أن أفوه بذلك حتى ولو كنت أعتقد ذلك" إنها قضية نفسية. لقد كان أسير ماضيه أي ماضي الرواد. هل شاهدتم فيلم "إكْزودوس". لقد كان بالفعل إكْزودوس وأكزودوس هذا لا

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

يتفاوض". وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحديث جاء بعد انعقاد مؤتمر مدريد يوم 1991/10/30 ومباشرة عملية التسوية التي عرفت باسم "سلام الشرق الأوسط".

مجمل القول إنه مع إدراك الحسن الثاني طبيعة المستعمر المستوطن الصهيوني، إلا أنه راهن على إمكان التعايش بين اليهود الشرقيين والعرب في فلسطين، ومن ثم اليهود بعامة، في ضوء المثل المغربي في التعايش.

الأمر الخامس في مكونات فكر الحسن الثاني بشأن تسوية الصراع العربي الصهيوني، هو استشعار ضرورة قيام المغرب بدور، ونضج الظروف المحيطة، ومسؤولية ملك البلاد على هذا الصعيد.

لقد شرح الحسن الثاني في كتابه "التحدي" ما قصده حين شبه المغرب بشجرة تمتد جذورها المغذية امتداداً عميقاً في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها التى يقويها النسيم الأوروبي". وقد تابع قائلاً "بيد أن حياة المغرب ليست عمودية الامتداد فحسب، بل هى تمتد كذلك امتداداً أفقياً نحو الشرق الذي نحن مرتبطون معه بالتالد والطارف من الصلات الثقافية، وحتى ولو أردنا - ونحن لا نريد قطعاً - فإن من المستحيل علينا قطع هذه الصلات". وانطلاقاً من هذه الحقيقة كان لابد أن يقوم المغرب بدور في تسوية هذا الصراع العربي الصهيوني. فما هي خطوط هذا الدور ؟

تحدث الحسن الثاني عن "روح الرباط" مستذكراً حديثاً مضى عن روح "لوكارنو" "للرمز إلى إقامة تفاهم جديد بين الأمم". وقد طرح هذا المصطلح بعد انعقاد مؤتمر القمة العربي السابع بالرباط في أواخر 1974، وعقد مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية وأوضح أن العمل على صعيد القمة العربية "يسهم في توحيد شعوب المغرب العربي وشعوب المشرق العربي".

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

في نطاق فهم الحسن الثاني لدور المغرب كان ترحيبه بجهود أبناء شعبه في مساندة الكفاح الفلسطيني، واعتزازه بهذه الجهود. كما أن قراره بإرسال "تجريدة" إلى الجولان قبل اندلاع معارك حرب 1973 بأزيد من ستة شهور، ووضعها تحت إمرة القيادة السورية. ثم كان تحركه بعد أن "سكتت المدافع" في مساعيه لتحقيق تسوية سلمية للصراع.

ظروف استجدت بعد حرب رمضان 1393 هـ تشرين أول / أكتوبر 1973م شجعت الحسن الثاني على التحرك في مساعيه هذه. من بين هذه الظروف أن الولايات المتحدة الأمريكية التي لها دور خاص في دعم الكيان الإسرائيلي اتجهت إلى مباشرة نشاط ديبلوماسي مكثف في المنطقة، تجاوبت معه الأطراف التي تحاربت. وقد انتدب الرئيس الأمريكي نيكسون وزير خارجيته كيسنجر للقيام بجولة في منطقة الوطن العربي، كان المغرب محطته الأولى فيها.

وظّف الحسن الثاني في مساعيه هذه علاقاته الطيبة مع الرئيس السادات التي تعود معرفته به لعام 1955. وكذلك علاقاته مع الرئيس نيكسون والسيد كيسنجر التي وصفها بأنها كانت "على الدوام ممتازة". وكان بحكم وجود يهود مغاربة يعلنون ولاءهم للعرش، على صلة بيهود في الدول الغربية. وقد سبق له عام 1970 أن التقى بناعوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي. وهكذا رأى أن بإمكانه أن يوظف هذه الصلات أيضاً. وأخذ في الاعتبار في تحديد طبيعة هذا الدور موقع المغرب الذي يناسب أن يكون مكاناً لحوار أطراف الصراع. وكان الحسن الثاني قد استقبل القيادة الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تولت المسؤولية في مطلع عام 1969، وشعر كما قال في ذاكرة ملك "أنني أتخاطب مع مسؤولين يدركون تمام الإدراك أنهم لن يستطيعوا أبداً هزم إسرائيل، وأنه سيفرض عليهم التفاوض معها يوماً ما".

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

انطلق الحسن الثاني في قيامه بهذا الدور من اقتناع راسخ بمسؤوليته الملكية. وكان يرى الملكية "مهنة". وقد جعل عنوان الفصل الأول في القسم الثالث من كتاب التحدي "مهنة الملكية" وهو موضوع يستحق حديثاً خاصاً ضافياً. وقد أوضح في شرحه لمسؤولياتها "علي أنا كذلك أن أذهب إلى المكتب، وكثيراً ما يصادفني وأنا فيه أن أتأسف، لأن اليوم لا يمتد أكثر من أربع وعشرين ساعة. ودوري في النهاية هو أن أقرر ما هو حسن وما هو سيء، وما هو صالح وما هو فاسد... إنها مهنته، كما سنرى ليست دائماً من غير أخطار". وإشارته هنا إلى الفصل الثاني الذي جعل عنوانه "أخطار المهنة" وشرح فيه محاولتي "اغتصاب السلطة" اللتين واجههما المغرب ومليكه عامي 1971 و1972 على التوالي، وفشلهما. وقد عاد إلى الحديث عن "المهمة الملكية الصعبة" في "ذاكرة ملك" في الفصل الرابع. كما تحدث في الفصل الحادي عشر عن "المؤامرة"، وتجدر الإشارة هنا إلى أن السنوات الخمس التي تلت حرب عام 1967 وبداية الانفراج بين المعسكرين إثر لقاء جونسون وكوسيغين في غلاسبورد في أعقابها، شهدت تغير القيادات الحاكمة في عدد من الأقطار في المنطقة.

بقي أن نلاحظ أن الحسن الثاني طبع تحركه هذا لبلوغ تسوية سلمية للصراع العربي الصهيوني بطابع شخصيته. وقد تحدث في كتابيه عن وصف والده المحب له وهو شاب في الثالثة والعشرين بأنه مستشار متحمس (التحدي صفحة 76 وذاكرة ملك صفحة 25) وكيف أن ممارسات مسؤوليات الملك زودته بحكمة التجربة . والحق أن كل من عرف الحسن الثاني ورآه يقود المؤتمرات العربية والإسلامية التي انعقدت على ثرى أرض المغرب لمس ما تتميز به هذه الشخصية من دأب وقدرة على التواصل ورغبة في الإنجاز وتفاؤل بالمستقبل.

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

تجلّيات

وبعد... فهذه الأمور الخمسة تفاعلت في فكر الحسن الثاني، وهو يقارب قضية فلسطين والقدس والصراع العربي الصهيوني بعامة ؛ ويبلور دوراً للمغرب يقوم به ملك البلاد ، يسهم في الوصول إلى تسوية للصراع وحل للقضية.

لقد كان لهذا الفكر تجلياته في المراحل المتتالية من حياة الحسن الثاني. ويمكننا تتبع هذه التجليات في كتاب "ذاكرة ملك"، وكل منها يستحق حديثاً ضافياً. ولكن المجال هنا، وقد أشرف الحديث على نهايته، لا يتسع إلا إلى الإشارة إليها. وبين يدي هذه الإشارة نلاحظ سمة واحدة تتسم بها جميعها، وهي أنها كانت علنية يطرحها الحسن الثاني على شعبه ويستمد من التفهم الشعبي لها قوة في التعبير عنها واطمئناناً لاجتهاده فيها.

نشير إلى حديثه في مأدبة عشاء أثناء زيارته للبنان وهو ولي للعهد آخر الخمسينات أمام مثقفين لبنانيين حول"دمج إسرائيل في حظيرة جامعة الدول العربية" (ذاكرة ملك صفحة151)، وإلى رؤيته لسياسة المغرب الخارجية إثر توليه العرش عام 1961 ومشاركته في قمة دول عدم الانحياز ببلغراد حول "انتهاج سلوك مستقل عن بعض مواقف جامعة الدول العربية وبلدان الشرق الأوسط" (ذاكرة ملك صفحة 43)، وإلى تصرفه أثناء حرب 1967 وفي أعقابها من إرسال لقوات مغربية لتحارب في مصر لكنها اضطرت للتوقف في ليبيا ومن نقد صريح في خطاب معلن لما جرى في الحرب (ذاكرة ملك صفحة 152 و153)، وإلى استضافة المغرب أول مؤتمر قمة إسلامي في أعقاب المحاولة الإسرائيلية لحرق المسجد الأقصى صيف 1969 في حدث بالغ الأهمية يستحق وقفة خاصة (ذاكرة ملك صفحة 157)، وإلى تحركه أثناء أزمة أيلول الأسود في الأردن عام 1970 (ذاكرة ملك صفحة 155)، وإلى لقائه برئيس المؤتمر اليهودي العالمي ناحوم گولدمان عام 1970.

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

كما نشير إلى مبادرة الحسن الثاني إرسال التجريدة المغربية إلى سوريا في عام 1973 لتكون تحت إمرة القيادة السورية (ذاكرة ملك صفحة 161)، وإلى مؤتمر القمة العربي السابع الذي انعقد بالرباط عام 1974 واعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني (ذاكرة ملك صفحة 164) وإلى لقاءات خريف 1977 الممهدة لعملية التسوية (ذاكرة ملك صفحة 169)، وإلى تولي رئاسة لجنة القدس في المؤتمر الإسلامي عام 1981 وقيامه بزيارة البابا يوحنا بولس الثاني في حاضرة الڤاتيكان ثم استقباله البابا في المغرب سنة 1985 (ذاكرة ملك صفحة 143)، وحواره مع شمْعون بيريزْ وزير الخارجية الإسرائيلية في إيفْران عام 1988 (ذاكرة ملك صفحة 163)، واستضافة مؤتمر القمة الإسلامي في الدار البيضاء عام 1984 الذي وجَّه الدعوة لمصر للعودة إلى ممارسة عضويتها فيه.

ملاحظات ختامية

يمكننا ونحن نتتبع هذه التجليات أن نستخلص عدة ملاحظات بشأن هذا الدور الذي قام به الحسن الثاني تجاه تسوية الصراع العربي الصهيوني سلمياً أولها أن جّل الدول العربية تجاوبت مع الدور سراً أو علناً بدرجات متفاوتة على صعيدها الرسمي واستشعرت في ظل ظروف ما بعد نكسة عام 1967 حاجة إلى وجوده، وعبرت عن ذلك بمجموعها في قمة فاس الثانية عام 1982 حين بلورت مشروع سلام عربي. وثانيها أن هذا الدور كان موضع جدل في أوساط المثقفين العرب وأن ضباباً أحاط به في الأوساط الشعبية العربية بفعل جو الإعلام العربي في ظل الخلافات الرسمية ولشدة مرارة الأمة من غطرسة الصهيونية العنصرية. وثالثها أن تأييد الشعب المغربي لجهاد الشعب العربي الفلسطيني ونضاله وكفاحه وللمقاومة بعامة بجميع أبعادها استمر قوياً باعتزاز رسمي وتجلى ذلك في صور كثيرة وبخاصة في تأييد الانتفاضة

Ce document a été fabriqué par PDFmail (Copyright RTE Multimedia)
http://www.pdfmail.com

الفلسطينية بين عامي 1987 و1993 والمقاومة فى جنوب لبنان. ورابعها أن الحسن الثاني الإنسان والملك بذل الكثير من الجهد في أداء هذا الدور وتحمل الكثير، وقطف مرات ثماراً طيبة مثل انتظام عمل منظمة المؤتمر الإسلامي ؛ وعلى الرغم من أنه صادف أحياناً خيبة أمل مثل رد مناحم بيغين على خطاب الرئيس السادات في الكنيست عام 1977، كما ذكر في ذاكرة ملك، إلا أنه حرص على متابعة المسار واثقاً من قدرة الأمة على بلوغ السلام العادل.

رحم الله الحسن الثاني وأسكنه فسيح جناته وحفظ الملك محمد السادس ووفقه. وتبقى الذكرى عطرة لصالح الأعمال.